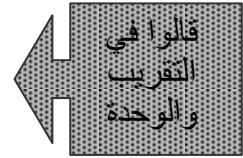


أ. السيد خليل ابراهيم الشوكي
باحث اسلامي - ايران

تداعيات العنف في إخفاق الوحدة بين المسلمين



العنف ينتهج أسلوباً مغايراً للطبيعة الإنسانية، فقوامه إنكار الآخر كقيمة متماثلة لأننا أو للنحن، كقيمة تستحق الحياة والاحترام، فهو يُدغي الطرف الآخر عن حلبة صراعه، إما بخفضه إلى تابع، وإما بنفيه خارج الساحة، وإما بتصفيته معنوياً أو جسدياً. (إذن معنى العنف الأساسي في المنظور الاجتماعي والسيولوجي هو عدم الاعتراف بالآخر، رفضه وتحويله إلى الشيء (المناسب) للحاجة العنفية إذا جاز الكلام. وعدم الاعتراف لا يعني عدم المعرفة، بل يعني معرفة معينة (مقولية) فهنا الفاعل العنفي يراقب المقابل، يتصوره بالطريقة المناسبة لرسم صورته (الضحية) وللتحكم بصيرورته).¹

فنحن نرى أن العنف بإرهاصاته ومتوالياته
الكثيرة هو أحد الأسباب الرئيسة لإخفاق
مشاريع توحيد الصف الإسلامي , فالعنف لم يعد
ظاهرة تقتصر على بقعة من الأرض , وإنما غدت
ظاهرة دولية يذجأ إليها أقطاب الصراع في
تحقيق أهدافهم ومآربهم المنشودة حتى يشل
في الواقع نمو المشاركة الجماهيرية الأوسع
إذ يبني في النهاية (الدولة- الفئة) ضد
مشروع (الدولة- الأمة) الذي وحده يناط به
إلغاء السلطات التقليدية، وصهرها في بوتقة
المشاركة الأشمل.

وعموماً غدت أخبار العنف الذي هو في
الحقيقة أحد مصاديق الإرهاب الدولي , جزءاً
كبيراً من الحياة اليومية للمجتمعات في
عالمنا الحاضر , فلم تعد تقتصر أخباره على
رقعة جغرافية معينة , وإنما توسعت حتى غدت
مشكلة دولية تتخذها دولة تفرض سياستها
على شعب من الشعوب, لإشاعة الروح الانهزامية
والرضوخ لمطالبها التعسفية أو تستعمل
الإرهاب جماعة في تلك الدولة لترويع
المدنيين لتحقيق أطماعها حتى تفرض الأقلية
حكمها على الأكثرية , كما كان الحال في
جنوب أفريقيا. ضمن هذا السياق قد تدعم بعض

الحكومات سرأ بعض الجماعة الإرهابية بتزويدها بالسلح والتدريب والمال اللازم لتنفيذ هجماتهم الإرهابية التي يقومون بها^٢، وهنا تحول الحياة في نظر صانع العنف إلى حياة مريضة، تكثر فيها الميكروبات، وتتفشى فيها الأمراض والأزمات، ويضطرب فيها السلوك الاجتماعي، وتشكل كل الظروف وعوامل الخصب لنمو ظاهرة العنف في تفريق كلمة الأمة.

السبيل إلى توحيد الصف الإسلامي:

الوحدة الإسلامية هي مطلب إسلامي مشروع، وطموح منشود ترتقي إليه النفس الإنسانية التي ترنو إلى الحب والسلام، وهدف عام مشترك يسعى لتحقيقه الذين آمنوا في مشارق الأرض ومغاربها، ناهيك عن كون الوحدة الإسلامية فريضة ربانية أوجبها الله تعالى على المؤمنين إقامتها، فقد أصبحت وحدة الأمة الإسلامية ضرورة تقتضيها مصلحة المسلمين، وتفرضها ضرورات وجودهم للوقوف أمام زحف الطامعين في أرضهم، وخيراتهم، وردتهم عن دينهم.

ثم إن وحدة الأمة الإسلامية هي الإطار الأمثل

لإحساس الأفراد المسلمين بكرامتهم ، وتميزهم برسالتهم العالمية .

وعلى الرغم من أن الوحدة الإسلامية أممية غالبية ، وفريضة ربانية ، وهدف مشترك ، وضرورة من ضرورات الحياة المعاصرة ، إلا أن المسلمين مختلفون في وسائل تحقيقها ، سلمياً وبدون عنف ، بالحكمة والإقناع لا بالقوة والإكراه .

من هنا ولأجل كسب الناس و هدايتهم إلى الطريق الحق ، نرى أن أئمة أهل البيت(ع) كان لهم الدور البارز في تغيير سلوك مَنْ يحُسبون عليهم الذين يكفرون الفرق الأخرى ، ويذكر في هذا المجال ما رواه (الكافي) عن زرارة قال: (دخلت أنا وحمران أو أنا وبكير على الإمام الباقر(ع) قال قلت له: إنا نمد المطمار قال وما المطمار؟ قلت أتر. فمن وافقنا من علوي أو غيره توليناه ومن خالفنا من علوي أو غيره برئنا منه فقال له يازرارة قول الله أصدق من قولك فأين الذين قال الله عز وجل>إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لِيَسْتَضِعُّوا حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُوا سَبِيلًا<^٣. أين المرجون لأمر الله أين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ؟ أين

أصحاب الأعراف ؟ أين المؤلفة قلوبهم ؟ وزاد حماد في الحديث فقال : فارتفع صوت الإمام الباقر(ع) و صوتي حتى سمعه من على باب الدار^٤. وهناك رواية أكثر إثارة رواها في الكافي عن هاشم صاحب البريد حيث يقول (كنت أنا ومحمد بن مسلم وأبو الخطاب مجتمعين فقال لنا أبو الخطاب: ما تقولون فيمن لا يعرف هذا الأمر ؟

فقلت: من لم يعرف هذا الأمر فهو كافر فقال محمد بن مسلم: سبحان الله ماله إذا لم يعرف ولم يجحد يكفر ؟ ليس بكافر إذا لم يجحد، فلما حججت دخلت على أبي عبد الله(ع). فأخبرته بذلك قال: إنك حضرت و غابا ولكن موعدكم الليلة عند الجمرة الوسطى بمنى فلما كانت الليلة اجتمعنا عنده أنا وأبو الخطاب ومحمد بن مسلم فتناول وسادة فوضعها في صدره ثم قال لنا: ما تقولون في خدمكم ونسائكم وأهليكم , أليس يشهدون أن لا إله إلا الله قلت بلى قال أليس يصلون ويصومون ويحجون ؟ قلت بلى , قال فيعرفون ما أنتم عليه ؟ قلت لا: قال فما هم عندكم ؟ قلت فمن لم يعرف فهو كافر، قال سبحان الله أما رأيت أهل الطريق وأهل الحياة ؟ قلت بلى قال

أليس يصلون ويصومون ويحجون؟ أليس يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله قلت بلى. قال فيعرفون ما أنتم عليه؟ قلت لا. قال فما هم عندكم قلت من لم يعرف فهو كافر قال سبحان الله هذا قول الخوارج ثم قال إن شئتم أخبرتكم فقلت أنا: لا).

(يقول المرحوم آية الله الفيض الكاشاني: لما كان هاشم يعلم أن حكم الإمام صائر ضده قال لا) قال أما أنه شر عليكم أن تقولوا بشيء مالم تسمعه منا، قال: فظننا أنه يديرنا على قول محمد بن مسلم)^١.

وبهذه الروح الرياضية يعدّم أئمة أهل البيت(ع) شيعتهم ليكونوا صدرًا رحباً يستوعب الآخرين مهما تنوعت أفكارهم واتجاهاتهم المذهبية، ولم يحكموا عليهم بالكفر منذ أول وهلة.

فأصبحت مسألة التكفير أمراً شبه معدومة في العهود الإسلامية الأولى إنما يصدر أمر التكفير على من ينكر العقيدة الإسلامية بملء إرادته وإختياره علنا أمام الناس عند ذلك يعلن عن كفره بذاته، أما من يصدر أحكامه بكفر أهل لا اله الا الله لإنهم يرفضون ما ينتمي إليه من أفكار وعقائد، فهو أمر فيه من

المبالغة والغلو والتطرف وهذا الأمر يتنافى والخلق الإسلامي.

وهذا ما أشار إليه العلامة السيد محمد حسين الأمين بقوله: (أنا كر جل د دين ضد التكفير وأعتقد أن الموضوع أخذ مدحىً غرائزياً وهذا مؤسف جداً فهؤلاء يحشرون مسألة التكفير والردة والخروج عن الدين في مجالات هي من وجهة نظري لا تتحمل مثل هذه المبالغات إذ من الصعب أن يستطيع أحد إصدار حكم بالكفر على أحد آخر إلا عندما ينكر هذا الآخر بملء حريته واختياره العقيدة الدينية علناً أمام الناس. آنذاك هو يعلن عن كفره بذاته, أما أن آتي كر جل د دين إلى آخر فأكفره فهذا أمر من المبالغة والتطرف ما يتنافى مع رصانة الدين, وهذا ما يذكرني بقول لأحد الأئمة الأجلاء وهو الإمام أبو حنيفة (ولو نطق الرجل بكلام يحتمل الكفر من سبعين وجهاً ولكنه يحتمل الإيمان من وجه واحد لحمل كلامه على الإيمان) فكيف نستطيع أن نكفر إنساناً ينطق بكلام فيه سبعون وجهاً للإيمان ووجه واحد فيه احتمال الكفر) ^٧ ؟

لا شك بأن الوحدة ونبذ التنازع هدف يصبو

إليه كل مسلم يريد الخير، ولا بد من الإيمان بالتنوعات الموجودة في مجتمعاتنا الإسلامية، وهذا منتهى التلاقي والتفاهم بين المجاميع المتنوعة والمختلفة في رؤاها داخل الإطار الإسلامي العام بحيث تعترف كل طائفة وجماعة منها بانطباق عنوان الإسلام على الأخرى وعليه ليس كل حديث عن الاختلاف والمختلفين يعني الكفر، بل قد يقصد منه عكس ذلك أي ترسيخ المحبة والمودة بين أولئك المختلفين وذلك اعتماداً على أصليين.

الأول: أنهم إخوة مسلمون.

الثاني: أنهم أصحاب رأي قوامه الأدلة التي قامت عندهم، فأحترم رأيهم وإن خطأتهم، والحصيلة أن المهم والمطلوب مع التنوع والاختلاف العمل بقوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)^٨ وقوله عز وجل (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)^٩.

والمشكلة الكبيرة وما نريد التركيز عليه في هذا المقام هو دور الحركات المتطرفة في بسط هيمنتها وقيمويتها في الساحة الإسلامية، والوحدة مع هذا الوجود الهامشي تكاد تكون شبه معدومة، وغير ممكنة مع وجود طرف لا

يرى أن هناك مجالاً للتلاقي مع الآخرين، بل ويتجاوز هذه المرحلة إلى اتهام الأطراف الأخرى بأنها ليست من الإسلام في شيء، فيحمل راية التكفير والإخراج من الملة، وهنا يطل شيطان التنازع والفشل برأسه بكل ما يحمل من مخاطر ونتائج مدمرة على الأمة.

إن وجود هذه الفئة وما تحمله من أفكار هدامة سيجر الأمة إلى الصراع الداخلي بل الاقتتال فيشكل أرضية هامة وأساسية للتدخلات الأجنبية التي نلمسها اليوم ونلمس الآلام والمآسي التي جلبتها للأمة وعمت الجميع ولم تختص بفئة دون أخرى، ولنا في قوله تعالى: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^{١٠} عبرة. كلنا أمل يحدونا في شعور المخلصين إلى لعب دور أكثر فاعلية في الوقوف بحزم وهمة عالية تجاه هذه التيارات العابثة، وتوحيد الصف الإسلامي، والعمل على نشر روح المحبة والمودة بين مختلف الكيانات والطوائف الإسلامية. ونعتقد أن لمثل هذه المؤتمرات التي يسعى لعقدتها المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب والمؤسسات الإسلامية الأخرى لهو

بادرة خير تبعث على السير باتجاه الوحدة وكشف المخططات التي تسعى إليها تلك الحركات الإرهابية وبيان زيفها، وهنا يتلخص الخير الذي نقصده وتكمن الفائدة المرجوة من كتابة هذه الأسطر.

الهوامش:

- ١ - مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ٢٧ - ٢٨ ص ١٩، خريف ١٩٨٣م مركز الانماء القومي- بيروت.
- ٢ - الموسوعة العربية العالمية، المملكة العربية السعودية، الرياض. ط٢ - ١٩٩٩م، ج١ ص ٥٥٩.
- ٣ - النساء / ٩٨ .
- ٤ - الكافي ج٢ ص ٣٨٢-٣٨٣.
- ٥ - أي الإمامة.
- ٦ - الكافي ج٢ ص ٤٠١-٤٠٢.
- ٧ - مجلة الذبأ العدد ٩١٦- التاريخ ٢٨-٣- ١٩٩٨م مقابلة مع السيد الأمين.
- ٨ - آل عمران / ١٠٣.
- ٩ - الأنفال / ٤٣.
- ١٠ - الأنفال / ٢٥.